

الحديد المبعثرة فى أرجاء المكان ، قطع صغيرة مشرشرة ، مسنونة ، ثقيلة •
باب الحجره مطروح فوق أرضية الحجره ، تاركا مكانه لسد من التراب
والحجارة ، حاجزا منفذ الباب •

من خلال ظلمة الحجره ، بدت الأشياء ، رمادية اللون ، كالحية ،
ظلمة ليست لها علاقة بليل أو نهار ، ظلمة ليست تابعة لضوء الشمس ،
بقيت شهورا محصورة داخل فراغ الحجره ، لا تتسرب ، ولا تتجدد ، كما
بقيت الحجره مختفية أسفل ركام ثلاثة طوابق حمت الصدفه سقفا من
السقوط ، ركام أخفاهها ، وحولها من حجره عادية الى حجره سرية ،
مجهولة ، محتفظة بأشياءها الخاصة ، القليلة ، كما هى • عند الرقم الثانى
عشر ركب العقرب الكبير فوق العقرب الصغير ، واستقر البندول بسلسلته
الطويلة أسفل ميناء الساعة ، صدنا ، كابيا ، وبقيه الأرقام بهتت ، تاركة
مكانها مغبشا ، وخيوط هشة ، رمادية ، تعلقت بالبندول وامتدت ملتصقة
بجدار الصندوق الخشبي للساعة ، ومن خاف زجاجها المعتم استلقت
حشرات صغيرة كثيرة ، جامدة • الصنبور معلق فى الحائط بلا مواسير ،
والحوض من أسفله تجمد فى قاعه المسدود بالأتربة ، ماء قديم ، وعلى
الحائط أسفل الحوض ، نشع مملح ، امتد على الأرض ، وتناثرت حوله
بعض الصراصير والأبراص الميتة • السرير القائم فى ركن الحجره ، المواجه
للمكتب ، هبطت حاشيته والتصقت بالألواح الخشبية ، التمزقات فى كسوة
الوسادة والخشبية خرجت منها ندف من القطن بلونه الرمادى القديم ، وفوق
السرير هيكل بشرى ، جثة قديمة لرجل قديم « (5) » ••

الغريب أن كلا من الكاتبين أراد أن يرسم للفنان طريقه وفق رؤاه
الخاصة ، فى حين أن رؤيا الفنان هى صاحبة الحق الأوحد فى فرض
نفسها على العمل • حتى لو شاء الفنان نفسه ، بحكم آماله وطموحاته ،
أو تأثره ببعض المقولات السياسية أو الاجتماعية أن تحيد عن طريقها ،
أو تغير ولو قيد أنملة من مسارها • اننا لا نكتب حين نكتب ، وانما نحن
مجرد أدوات تستعملها رؤانا الصادقة - كما نستعمل نحن القلم والورق -
للتعبير عن نفسها • وربما كان فى مقدورى تبيان ما أقصد بقصة طريقة •

يقال ان بعضهم زار الكاتب العظيم ليو تولستوى فى منزله ، وأخبره
بأنه كان قاسيا حينما جعل « أناكارينا » تلقى بنفسها تحت قطار يجرى •
فقال له تولستوى :

... يذكرنى قولك بحكاية قيلت عن بوشكين ، اذ قال هذا الشاعر
ذات مرة لأحد أصدقائه : « تصور الخدعة التى خدعتنى بها تاتيانا •• لقد
ذهبت وتزوجت •• لم أكن أتوقع منها هذا الأمر •• » • ويمكننى أن أقول

فن معايشة - ٢٢٥